التعضيد التأويلي في ترجمة الرمز الخاص
رواية Moby Dick لصاحبها هرمان ملفيل نموذجا

الأستاذ: برهان أوذاينية
معهـد الـترجمـة
جامعة الجزائر 2 (الجزائر)

ملخـــص:

يهدف البحث إلى دراسة أهمية تخمين المترجم، بصفته قارئا أولا، لقصدية النص فيما يتعلق برموزها الخاصة التي لا يمكن فهمها خارج عالم الرواية، وضرورة التفاوض فيما يتعلق بعوالمها الممكنة بكل خصائصها الضرورية والجوهرية والعرضية وذلك من خلال دراسة بعض النماذج من رواية Moby Dick لصاحبها هرمان ملفيل بترجمة رحاب عكاوي إلى العربية. خلصت الدراسة إلى الصعوبة البالغة التي تواجه مترجم الرموز الخاصة من الرواية الأمريكية إلى العربية و كذا أهمية النموذج التأويلي الذي يقدمه أمبرتو إيكو المبني على التعضيد التأويلي.

الكلمات المفتاحية: التعضيد التأويلي، العوالم الممكنة، الرمز الخاص، أمبرتو إيكو، هرمان ملفيل.

Abstract:

The research aims at studying the importance of interpreting in the work of the translator as being a first reader of the Intentio Operis with regard to its private symbols that cannot be understood outside the realm of the novel, and the need to negotiate with regard to its possible worlds with all its Necessary, essential and accidental characteristics through studying some examples from Herman Melville's novel Moby Dick, translated by Rehab Akkawi into Arabic. The study exposes the difficulties faced by translators in translating private symbols from American novels into Arabic, and the importance of Echo's interpretative model and its cooperative interpretation.

يعتبر التعضيد التأويلي (Interpretative Cooperation) مفهوما مفصليا في نظرية المفكر الإيطالي أمبرتو إيكو (Umberto Echo) التأويلية، و هو يتعلق بقدرة القارئ على تخمين قصدية النص (Intentio Operis)، والتي هي التأويل الذي يتيحه النص عبر استراتيجياته الداخلية. إن هذا التعضيد هو الذي من شأنه خلق قارئ نموذجي (Ideal Reader) يصبح بدوره جزء رئيسيا من عملية التأويل اللامتناهية وفق مفهوم السيميوزيس (Semiosis) البورسي.

يفرق إيكو بين كاتب النص الحقيقي والكاتب النموذي، والقارئ الحقيقي و القارئ النموذجي ففي واقع الحال هو لا يعير كبير أهمية للكاتب والقارئ الحقيقيين، فالأول لا يكون حاضرا عادة ليفسر قصديته من خلال نصه بل إن النص يفرض قصديته على قصدية المؤلف و يتحكم فيها من خلال استراتيجياته و عوالمه، الأمر الذي يجعل الكاتب النموذجي الذي يمكن استخلاصه من تأويل النص مختلفا تماما عن كاتب النص الحقيقي المحسوس، أما الأخير وهو القارئ الحقيقي فهو قارئ براغماتي يبحث عن تأويل واحد مباشر مناسب للنص، في حين أن القارئ النموذجي يبحث عن التأويلات الممكنة التي يسمح بها النص من خلال استراتيجيته وهذا ما يفتح الباب أمام تأويلات لا متناهية ومعقولة للنص.

إن هذه التأويلات تخلق عوالم مختلفة ممكنة تولد من رحم السرد (بن بوعزيز،2008) و ترتكز على عالم مرجعي يساعد على تفسير و تمتين باقي العوالم الممكنة التي يستخلصها القارئ النموذجي من النص. و غالبا ما تفهم هذه العوالم الممكنة مجازا، فحين نقول "الملك شمس" فنحن لا نفهم بأن هناك عالما يتجسد فيه الملك على هيئة كوكب ملتهب، بل نفهم هذا التشبيه البليغ على وجهه المجازي فالملك مثلا يحجب من سواه بذكره كما تحجب الشمس باقي الكواكب بنورها.

يعتبر العالم كما نعرفه هو العالم المرجعي بالنسبة للقارئ، وقد يختلف كثيرا أو قليلا عن العالم السردي الروائي لكنه في النهاية لا بد أن يشترك معه في بعض الخصائص حتى يستطيع القارئ تفعيل موسوعته.

لا تعتبر العلاقة بين العالم الواقعي والعالم السردي علاقة أساسي بثانوي لكنها مهمة من أجل تبيين وإدراج خاصيات العالم الممكن، التي يمكن تجاهل بعضها وإيلاء الأهمية لبعضها الآخر، ويمكن تصنيفها (ترفاس: 2013،39) إلى خاصيات ضرورية (Necessary) لها من الأهمية بالنسبة لعالم الرواية ما يجعل إهمالها أمرا مستحيلا وأخرى جوهرية (Essential) مهمة هي الأخرى في تأويل مقاطع من النص والنوع الأخير من الخصائص هي خصائص عرضية (Accidental) وهي ثانوية لا يتأثر عالم الرواية إن أهملت.

إن هذا التعضيد التأويلي المبني على تفاعل القارئ النموذجي مع قصدية النص أمر أساسي للفهم، والفهم أو التأويل هو أول مراحل الترجمة فلا يمكن الوصول إلى ترجمة سليمة من دونه، و المترجم هو قارئ أول شأنه شأن القارئ في اللغة الأم، ينطبق عليه ما ينطبق على غيره وهو مطالب بالتأويل وولوج عالم السرد وتحديد خاصياته بمختلف أنواعها.

إلا أن مهمة المترجم الأدبي لا تقتصر على تأويل النص فحسب بل هو مطالب بنقله إلى لغة أخرى وإلى ثقافة أخرى، وغالبا ما يجد نفسه مجبرا على التفاوض (Negotiation) مع النص وهنا تبرز أهمية فهم خاصياته وتحديد ما يجب نقله وما يمكن إهماله، فالتفاوض إذا ينطوي على خسارة حتمية في المعنى، ويعتبر إيكو لجوء المترجم للحاشية فشلا له. و كمثال على التفاوض الذي واجهه هو كمترجم يورد كلمة (chaumières) بالفرنسية و التي لا وجود لها في لغته الإيطالية، وتمتلك هذه الكلمة خمس خاصيات هي أنها (1) منزل فلاحين، (2) صغير، (3) مبني من الحجر، (4) سقفه من حشف، (5) متواضع. و لغياب المكافئ، اضطر إيكو للتفاوض فهو لا يستطيع أن يشرح كل الخاصيات لأن ذلك يضر بالنسق العام للنص، و بالنظر لعالم الرواية الداخلي وسياقه فضل ترجمتها ب: (بيوت صغيرة من الحجارة) وبرغم استعماله لثلاث كلمات فإنه قد خسر بعض الخاصيات، لكنه أوصل الجوانب الأكثر أهمية لقصدية الرواية قصد نقل نفس الأثر. (ترفاس: 46،2013)

إذا كان هذا مع اللغة العادية فكيف يكون الأمر مع الرمز الذي "هو ما يتيح لنا أن نتأمل شيئا آخر وراء النص، فالرمز قبل كل شيء معنى خفي، و إيحاء...هو إضاءة للوجود المعتم و اندفاع نحو الجوهر" (أدونيس في بوصلاح: 84،2000) فالرمز كيان حي لا يرتبط مدلوله بشكل مباشر ونهائي بداله، يتميز بالعمق والإيحاء والانفتاح على التأويل، وهذا ما يميزه عن الإشارة ذات الدلالة الوحيدة والإطار المحدود الجامد الذي يتفق عليه أعضاء جماعة لغوية ما كإشارات المرور وبدل الشرطة. (أولمان، تر بشر: 27،1975)

يستعمل الرمز للتعبير عما لا يراد له أن يخرج مباشرا، إما لحاجة في نفس الكاتب أو لعجز اللغة عن القيام بذلك، وأهم عناصره الإيحاء الذي هو ضد التصريح والتعبير المباشر، فهو يعتمد الغموض الذي يكتنف دلالاته البعيدة التي تحتاج جهدا لسبر أغوارها وبيان مكنوناتها التي تتجاوز بكثير المعنى المباشر الجاهز، والغموض أيضا هو إحدى خصائص الرمز الفنية، فتواجده يزيد من لذة الاكتشاف التي لا تغيب ما توافر هذا العنصر (القعود:2002) وتراسل الحواس التي تعني إعطاء صفات تدرك بحاسة معينة لحاسة أخرى مما يخرج عن الاستعمالات المعتادة إلى ميادين جديدة تزيد من متعة التلقي والتذوق الفني.

إذا كان استخدام هذا اللون من الخطاب قديما قدم البشرية فإنه كلون ومذهب فني لم يظهر إلا سنة 1886 على يد نخبة من أدباء فرنسا وسرعان ما تبعهم البقية، وتعد روايات الأمريكي هرمان ملفيل البحرية وبخاصة رائعة موبي ديك موردا لا ينضب للرموز والإيحاءات والأساطير. تدور أحداث الرواية على متن سفينة تدعى الباقوطة (Pequod) أبطالها الراوي ويدعى إسماعيل(Ishmael) والقبطان آخاب (Ahab) والمتوحش كويكوج (Queequeg) والحوت موبي ديك (Moby Dick) وغيرهم من الشخصيات التي رمزها الكاتب ملفيل عن طريق استعمال الاستعارة وغيرها من ضروب المجاز، وسنورد بعض الأمثلة من الرواية والترجمة ونقوم بتحليلها على ضوء ما سبق.

رمز البطل: بطل الرواية الأساسي هو (Ishmael) واسمه في الأصل اسم نبي ورد في الإنجيل يرمز للمسيحي العادي، طيب القلب، يحب الآخر ويحترمه، تضيق نفسه بالرتابة فيركب البحر بحثا عن انطلاقة جديدة، يشهد أحداثا عظيمة دون رغبة منه، يطيع الأوامر حتى إن خالفت هواه، تدفعه الأحداث و تؤثر فيه ولا يؤثر فيها، وفي النهاية يكون الناجي الوحيد من غرق السفينة بفضل طفوه داخل لحد صنعه له المتوحش كويكوغ.

المثال: Call me Ishmael. Chapter 1 p 22

الترجمة: وليكن اسمي الذي أعرف به هو اسماعيل. بدايات ص 19

نلاحظ في هذا المثال أن اسم (Ishmael) قد ترجم إلى (اسماعيل) و الأصل أن أسماء العلم لا تترجم بل تكتب مثلما تنطق، و باتباع هذه القاعدة سيكون تعريب الاسم (إشمايل).

للإسم خاصية ضرورية وهي خاصيته الدينية الإنجيلية، فاختيار اسم البطل لم يأت اعتباطا لأن الشخصية طوال الرواية كانت تعرض فكر المسيحي الأمريكي العادي ولذلك وجب التصريح بذلك في الترجمة. ثم إن هناك فرقا جوهريا يتعلق بالشخصية نفسها، فكل الديانات السماوية تنسبه لنفسها. بالرغم مما قيل فإن الترجمة قد حافظت على قصدية النص بإعطائه بعدا دينيا و ظهرت ديانته في مواضع أخرى كثيرة وعليه فقد وفق المترجم في اختياره.

رمز السفينة: الباقوطة (Pequod) سفينة صغيرة نوعا ما، عتيقة إلى درجة أن جانبها اسودّ، مرتبة و نظيفة وقد تم تغيير بعض أجزائها التي تحطمت. تعود ملكيتها إلى مجموعة من الأرامل و الأيتام الفقراء لا يملكون مصدر دخل غيرها، يبتسم الحظ لها فتحقق نتائج تفوق التوقعات بشكل يستطيع أن يجعل من أصحابها و بحارتها أناسا أثرياء إلا أن قبطانها يغامر بها ويحملها ما لا طاقة لها به ما يؤدي بها إلى الغرق وموت الطاقم وخيبة أمل ملاكها. وترمز على الأرجح للولايات المتحدة الأمريكية التي كانت في ذلك الوقت تكتشف ذاتها فيتنبأ لها ملفيل بأن تحقق نجاحا ومكانة لم تكن تحلم أن تصلها، ثم يؤدي بها حكامها إلى الخراب والدمار وفقدان المكانة وهذا ما حدث تقريبا إذ أصبحت الولايات المتحدة القوة رقم

واحد في العالم بعد أقل من 100 عام عن نشر الرواية. ويستعمل اسم السفينة اليوم للحديث عن أي مؤسسة أو جهة تفلس أو تخسر بعد نجاح بسبب رعونة ملاكها أو قادتها.

المثال: The Ship. Chapter 16 p 141

الترجمة: الباقوطة. ص 77

قام المترجم بشرح عنوان الفصل فالسفينة المقصودة هي الباقوطة، لكن هذا الشرح لم يحترم قصدية النص، فذكر صعود البطل ورفيقه على متن السفينة المذكورة كان صدفة، إذ كان لهما أن يختارا من بين ثلاثة سفن، ولو اختارا سفينة أخرى لكان مصيرهما مختلفا، وعليه فإنه كان على المترجم يستعمل التعضيد التأويلي بأن يحافظ على الغموض المقصود بدل إعطاء الإجابة من العنوان مباشرة.

أمر آخر هو اسم السفينة نفسها، فهي بالإنجليزية (Pequod) وترمز إلى قبيلة هندية بائدة، إذ نلحظ في اسمها تحذيرا صريحا على المصير الذي تخبئه لها الأقدار. أما الترجمة المقترحة (الباقوطة) فقد جاءت على وزن الفاعولة مثلما نجده في كلمات ناعورة و شاكوشة على سبيل المثال، وهو اسم مؤنث مفرد لا دلالة له في اللغة العربية، وهنا أيضا أخفق المترجم في الحفاظ على قصدية النص الأصلي فجاءت الترجمة مشوهة لا تفي بالغرض المقصود.

رمز الإله يوجو: الإله يوجو إله وثني أسود صغير، يعبده المتوحش كويكوغ ويحمله معه دائما، يأتمر بأمره ولا يقدم على أمر حتى يستشيره. بالرغم من مخالفته للعقيدة المسيحية وازدراء البحارة له فإن البطل كان يحترمه بكل صدق وفي النهاية يطلب الإله من المتوحش صنع نعش للبطل يكون سببا في نجاته. وهو يرمز للحكمة المغيبة عن الحضارة المادية الغربية ورمز للتسامح والإخاء.

المثال: ...he had been diligently consulting Yojo-the name of his black little god- Chapter 16 p 141

الترجمة: كان مثابرا على استشارة يوجو (*) إلهه الأسود الصغير---في الهامش: إله من آلهة الوثنيين في الأساطير.

جاءت الترجمة مباشرة حرفية واضحة لا غبار عليها متماشية مع قصدية النص التي تقتضي التصريح بكل ما يتعلق بهذا الإله الذي لا يعرفه القارئ المثالي غير العليم بآلهة الجزر المتوحشة، إلا أن المترجم ارتأى إضافة حاشية يوضح فيها أنه إله لديانة وثنية وأنه أسطوري بمعنى أنه خيالي ما أنزل الله به من سلطان، والحاشية مثلما يقول إيكو دلالة على انهزام المترجم، ثم إن المعلومات التي جاءت في الحاشية لا تضيف جديدا بل إنها تقحم معلومات لا تخدم سياق النص وقصديته وكان من الأولى عدم إدراجها من الأساس.

رمز إعصار التايفون: تدور أحداث الرواية في عشرينيات القرن التاسع عشر عندما كانت السفن بدائية وقوى الطبيعة مدمرة لا قبل للبشر بها، وفي البحر، فإن أكبر خطر على السفن والبحارة هو أعاصير التايفون الجبارة التي تمتزج فيها الرياح العاتية والأمواج الضخمة. وهنا يرمز التايفون إلى المخاطر والصعاب التي يضطر البشر إلى مجابهتها في سبيل المضي قدما نحو الهدف المنشود.

المثال: During the most violent shocks of the Typhoon. Chapter 123 p 935

الترجمة: في أثناء أعتى الصدمات التي كانت تحدثها الرياح. البندقية المعبأة ص 468

لكلمة تايفون (Typhoon) عدة خاصيات: (1) إعصار، (2) كلمة آسيوية (3) تختص جغرافيا بمنطقة المحيط الهادي والبحار المتعلقة به (4) تمتزج فيه الرياح الشديدة بالأمواج الهائلة. نلاحظ أن المترجم باختياره كلمة رياح لترجمة كلمة (Typhoon) لم يلتزم بالأمانة للنص الأصلي إذ أوصل جزء يسيرا و عرضيا من المعنى مما يثبت أن تخمينه لم يكن صائبا، ولربما خاف ألا يفهم القارئ العربي معنى كلمة تايفون وحتى في هذه الحالة كان الأجدر به أن يضيف كلمة إعصار حتى وإن تسبب ذلك في تكرار المعنى إذ أن كلمة تايفون ترادف كلمة إعصار باللغة اليابانية، لكنه تكرار لا بأس به من جهة أنه لا يخل بنسق النص ولا قصديته، ولهذا فهو لم يوفق في ترجمة هذا الرمز.

من كل ما سبق يتبين لنا أن ترجمة الرموز أمر معقد للغاية ويتطلب قدرة فائقة على التخمين والتأويل، وهنا يبرز دور آليات التحليل السيميائي التي يقترحها إيكو في نظريته كالتعضيد التأويلي الناتج عن قدرة القارئ المثالي على تأويل قصدية النص من أجل تحديد الخاصيات الضرورية والجوهرية والعرضية مما يساعد المترجم على التفاوض جيدا واتخاذ القرارات الصحيحة أثناء نقل النص إلى اللغة الهدف.

الهوامش والمراجع والمصادر :

1- القعود، عبد الرحمن محمد (2002) الإبهام والحداثة. الكويت: عالم المعرفة.
2- أولمان، ستيفن (1975) دور الكلمة في اللغة (ترجمة: بشر، كمال) القاهرة: مكتبة الشباب.
3- إيكو، أمبرتو (2012) أن نقول الشيء نفسه تقريبا (ترجمة: الصمعي، أحمد) بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
4- بن بوعزيز، وحيد (2008) حدود التأويل: قراءة في مشروع أمبرتو إيكو النقدي. بيروت: الدار العربية للعلوم.
5- بوصلاح، نسيمة (2000) تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر. الجزائر: رابطة إبداع.
6- ترفاس، سهام (2013) مفهوم الأمانة في الترجمة الأدبية على ضوء نظرية أمبيرتو إيكو السيميائية. الجزائر: مذكرة ماجستير غير مطبوعة.